19 me, année No 923

Le Caire 12 — 8 — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٢٣ « القاهرة فى يوم الاثنين أول جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠ — ٢ مارس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

عبد العزيز فهمى باشا

حم قضاء الله ومضى الرجل العظيم مستقبلاً وجه الخلود ! والرجولة والعظمة صفتان تجمعان ما أوتى عبد العزيز فهمى باشا من مناقب مصدرها خلقه ، ومواهب مظهرها عمله . كان رجلا بالمعنى الرفيع الذى يفهمه المهذب من لفظ الرجل ، وكان عظيما بالمعنى الجميع الذى يدركه المثقف من كلمة العظيم . ولو ذهبت تحلل حياة أول القضاة فى سجل القضاء ، وثانى الزعماء فى سجل السياسة إلى عواملها الأولية ، لوجدتها فى الخلال الصدق والصراحة والإباء والشجاعة وهذه هى الرجولة ، وفى الأعمال العمق والشمول والاتقان والتفرد وهذه هى العظمة . وفقد رجل كهذا الرجل حياته تاريخ ، وعمله رسالة ، وخلقه قدوة ، وكفايته ثروة ، خسارة إنسانية لا خسارة قومية ، ومصاب أمة لا مصاب أسرة ، وفجيعة منقمة لا فجيعة عاطفة . فإذا جزع الشعب لموته هذا الجزع فإنما يجزع لركن هوى لا لغصن ذوى ، ولهاد مضى لا لصديق قضى . والجزع على العظماء لا يكون بالعبرات التى تطفئ ، وإنما يكون بالحسرات التى تحرق . والخطب الذى يبكى العيون ، أهون من الخطب الذى يدمى القلوب . ومن يقف أمام الحصن الذى ينسف ، أو الكنز الذى يخسف ، يجد فى نفسه الروع الذى يذهل ، لا الحزن الذى يسهل

كان عبد العزيز فهمى جزءاً ضخماً من ثروة مصر العلمية . وهذه الثروة لا تزال من حيث الكيف ضئيلة . فإن المباقرة الذين هيأتهم إلى العلم الصحيح طبائعهم الحرة وملكاتهم الأصيلة لا يزالون بيننا آحاداً . وقلّ من هؤلاء الآحاد من جمع إلى العلم سمو العالم ونزاهة المصلح كما جمعهما الفقيد . واجتماع هذه المزايا فيه لا يعله معلل من نشأته وبيئته ودراسته . فإن هذه العوامل نفسها أو شبهها أثرت فى غيره من أهل جيله ، ولكن مصر لم تظفر من بينهم بمثيله . هنالك أمر قد يكون مفتاح السر وطريق المجهول : ذلك أنه تلقى دراسته الأولى فى الأزهر كما تلقاها فيه محمد عبده وسعد زغلول وابراهيم الهلباوى . وهؤلاء جميعاً قد تشابهوا فى قوة الشخصية ونفوذ العقلية ، فدرسوا الفقه بعمق ، وعالجوا البيان بحذق ، وزاولوا المحاماة ببراعة ، وتولوا القضاء بجدارة ، ومارسوا السياسة بخبرة . ولكنه انفرد من دونهم جميعاً بخصائص خلقية جعلت ذلك التشابه تغايراً فى بعض نواحى الرجولة . كان رحمه الله لا يناقق ولا يمالق ، ولا يداهى ولا يداجى ، ولا يدلس ولا يلبّس ، ولا يقول إلا ما يصح فى معتقده ، ولا يعتقد إلا ما يصح فى رأيه . وهذه الصفات قد تجعل المصلح عظيما ، ولكنها لا تجعله زعيما . وأريد بالزعامة هنا زعامة العامة لا زعامة الخاصة ، فقد كان الفقيد زعيما فى المحاماة ، وزعيما

فى القضاء ، وزعيما فى التشريع، وزعيما فى الشورى ؛ وفى كل هذه الأمور كان هو وسعد يتعاوران الأولية فلما دخلا معا ميدان السياسة ، دخلها هو بعقل القاضى ولسان المحامى . والقاضى أداته قانونه ونزاهته ، والمحامى آلته دليله وبلاغته . وإذا تجهزت للزعامة السياسية فى أمم الشرق بالقانون والضمير والمنطق والصراحة والصدق ، هاجمك خصمك بالأباطيل الناشبة فيظهر عليك ، ووقف منك جمهورك على الحقائق العارية فينفر منك. لذلك كان حظ عبد العزيز من القضية المصرية على فصاحته فى الخطابة وبلاغته فى الكتابة ، حظ القائد الحكيم الذى توضع الخطط على رسمه ، لا حظ القائد الزعيم الذى تتوج (الأوامر) باسمه . وظل طول عمره السياسى راضيا بهذا الحظ حتى عجز آخر الأمر عن التوفيق بين هواه والعامة ، وبين خلقه والسياسة ، وبين ضميره والحكم ، فارتد إلى القضاء وقد آتاه الله فيه الحكمة وفصل الخطاب، فوضع المبادئ، وقرر الأحكام، وأضاف إلى الفقه المصرى مادة ضخمة من علمه وحكمه زادت فى ثروته ورفعت من قيمته

ثم اختير بعد اعتزاله للقضاء عضواً فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، فأخلى ذرعه للنظر فى علوم اللغة والأدب بعين الفقيه المجتهد والأديب الناقد ، حتى بلغ منها مبلغ الأعلام الذين وقفوا على تحصيلها العمر والجهد . وتقدم إلى المجمع بمشروع اقتباس الحروف اللاتينية للكتابة العربية ، مقرونا بالأسباب ، ممززا بالمزايا ، مؤيدا بالأسانيد ثم أعقبه بكتاب ألفه فى الرد على معارضيه ومنتقديه، جمع إلى بلاغة الأسلوب قوة المرض ومتانة الحجة ، فكان آية على سمو طبقته فى الكتابة وبعد غايته فى الأدب . فلما أقعدته العلة رضوان الله عليه كانت غرفة مرضه ملتقى أقطاب الفقه والأدب والسياسة ، يستفيدون من علمه ، ويستزيدون من أدبه ، ويستضيئون بفكره ؛ وهو فى كل ما يعرض عليه أو يتعرض له طلق البديهة ، محكم الرأى ، جيد الاستنباط ، حاضر الدليل .

كنت فيمن يزورونه الحين بعد الحين ، فكان فى كل زورة يكشف لى غير عامد عن سر من أسرار عبقريته . دفع إلى مرة بضع مقالات فى نقد شرح وضعه استاذان جليلان لكتاب البخلاء ، وشرط على أن أنشره غفلا من الإمضاء . فلما ظهر النقد فى الرسالة كان حديث الأندية ومثار الظنون ، لأن الناس عجبوا أن يستتر الناقد وهو على هذه المكانة من ثقوب النظر ، وقوة التوجيه ، وصحة الاستدلال ، وعفة اللفظ . وأفضى إلى مرة أخرى بأنه يقرض الشعر منذ الحداثة ، إما مناقلة بينه وبين نفسه ، وإما مساجلة بينه وبين إخوانه . ثم أنشدنى مطارحة من جيد النظم جرت بينه وبين الأستاذ المفتى الجزائرى ، وقصيدة دالية من المطولات وصف فيها فساد الطباع فى الناس، وسقوط الأخلاق فى المجتمع . فلما طلبت إليه أن يهديها إلى قراء الرسالة سوّف هربا من سقوط الأضواء ثانية عليه وهو مضطجع على أعراف المجد يستريحه من مكاره الواجب وتكاليف النبوغ . وما زال الناس يرددون هذه الأرجوزة القصيرة التى نظمها وكتبها على قبر زوجته وقد نعم بالعيش معها ستة واحدة ثم توفاها الله بحمى النفاس فلم يتصل بامرأة بعدها حتى لقيها :

يا وردة عاشت حياة الورد ... عمراً قصيراً وثوت فى اللحد
لولا رئ غافل فى المهد ... يرضيك أن أحيا ليحيا بعدى
لعجلت بى زفرات الوجد

أما بعد فماذا ينشر الكاتب الموجز وماذا يطوى من حياة أقل مفاخرها موضوع كتاب ، وجملة مآثرها تاريخ عصر ؟ رحم الله المحامى المدره، والقاضى المجتهد، والوزير النزيه، والدستورى الحر، والفقيه الحجة ، والخطيب المفوه ، والكاتب البليغ، والشاعر المجيد، والناقد البصير، والأديب المطلع، وألهمنا على فقده جميل الصبر، وعوضنا من بعده خير العوض !

احمد حسن الزيات

ظهر المجلد الثالث
من كتاب
وحى الرسالة
فصول فى الأدب والنقد والسياسة
والاجتماع والقصص
للأستاذ احمد حسن الزيات